

الشعيرة الخامسة
الزيارة



الزيارة

أذن الله تعالى أن تُرفع بيوت آل محمد عليهم السلام ويُذكر فيها اسمه، وجعل محالهم مطافاً لطلاب البركة وملتصبي الرحمة، فحفّ المؤمنون بقبورهم الشريفة، وتحصّنوا في حصون الأمان والإيمان، والتجأوا إليهم في شعائرهم..

وأذن الله تعالى أن تُفتح أبواب بيوت آل محمد عليهم السلام بعد أن رفع منارها، وشرف الله تعالى نُخبة من عباده بقصد هذه البيوت والدخول في هذه البيوت الطاهرة، وكرمهم بالزيارة لها والتبرك بآثارهم فيها، حتّى صارت الزيارة من شعائر الدين المهمة لديهم، وخصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام فقد ورد في فضلها ما لم يرد في حقّ أيّ عبادة من العبادات.

وفتح الأئمة عليهم السلام باب الرحمة على مصراعيه حين ندبوا إلى زيارة قبورهم المشرفة، إذ أنّ للوقوف في مشاهدتهم إشراقاتٌ خاصّة، يدركها من أدركها، وهذه نعمة سابعة حظى بها بعض المخصوصين بالكرامة من الأئمة، وحرّم بعض أنفسهم منها، بدواعي الخلاف والشبه..

ولهؤلاء الذين توهموا أنّ زيارة قبورهم بدعيةٌ محدثة في الدين نقول: إنّ القرآن الكريم شيّد هذا المبدأ، رغم أنّه لم ترد آية صريحة في زيارة المشاهد المشرفة وتشبيدها، لكنّها وردت بمضمونها في القرآن الكريم.

وفي قصّة الكهف - التي استعرضناها في مقدّمة كتابنا - يقول تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.. يستفاد من الآية وأجواء القصّة أن المسلمين الغالبين على الأمر وهم أصحاب فكرة التوحيد والمعاد والنشور هم أصحاب فكرة بناء المسجد على تلك القبور، وتُشعر الآية بإقرار ذلك لهم كما هو واضح، من غير تكبير على فعلهم^(١).

وبناءً عليه فإنّ قبور أصحاب الكهف صارت مزاراً يرتاده الموحّدون بارتياحهم المسجد، ومحلاً لزيارتهم، وعُدّت قبورهم من أسبق الأمثلة تاريخياً بحسب تدوين القرآن الكريم على تعظيم القبور، ولم يُنكر عليهم ذلك.

وجاء مضمون زيارة القبور في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ فهي الآية التي تنهى رسول الله ﷺ عن القيام على قبور المنافقين.. والمراد من الصلاة هنا خصوص صلاة الميت، ودلّ على ذلك سياقها وسبب نزولها، ومحل كلامنا في الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ فقد ذهب كثيرٌ من المفسّرين إلى أنّ هذا الوقوف المنهي يتعدّى وقوف النبي ﷺ عند قبورهم وقت الدفن، بل يقصد به كلّ وقت، سواءً للدفن أو الزيارة^(٢).

(١) ولا يمكن أن يكون صاحب فكرة المسجد هذه من غير المسلمين والموحّدين قطعاً كما هو بيّن، ولترجيح أن الذين غلبوا هم أهل التوحيد راجع: مجمع البيان للطبرسي (٧١٠/٥)، التفسير الكبير للفيروز الرازي (١٠٦/١١)، فتح القدير للشوكانى (٣/٢٧٧)، تفسير الميزان للطباطبائي (٢٦٧/١٣).

(٢) راجع أنوار التنزيل للبيضاوي (٤١٦/١)، وروح المعاني للآلوسي (١٥٥/١٠)، وروح البيان

وتقريب الإستدلال: أنّ هذا النهي إذا ورد في شأن المنافقين أو من مات على الكفر كما هو صريح الآية، فهو في غيره غير منهي، فالوقوف على قبر المؤمنين جائز بمفهوم الآية قطعاً.. وما الذي يضرّ بدين المسلم إذا وقف على قبر أخيه بقصد زيارته والدعاء والإستغفار له، وهذا هو قصد النبي ﷺ في وقوفه على القبور التي وقف عليها.

وورد مضمون زيارة القبور في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(١).

وكان المذنبون يأتونه ﷺ في حياته ويطلبون منه الإستغفار والشفاعة، وكان يستغفر لهم، والآية ظاهرة في تكريمه ﷺ من هذه الجهة، ولا يمنع شيء من

→ للبروسوي (٣/٣٧٨).

(١) وفي مجمع البيان (٣/١٠٥)، وتفسير الرازي (٥/١٦٧ - ١٦٨) وكثير من التفاسير أنّ الآية بحسب السياق تعني المنافقين في حادثة معيّنة، فقد ارتضوا التحاكم إلى الطاغوت فراراً من التحاكم إلى النبي ﷺ ولو أنّهم جاؤوه ﷺ وأظهروا الندم على ما فعلهم وتابوا عنده واستغفروا الله واستغفر لهم ﷺ لتاب الله عليهم. وقيل إنّها نزلت في قوم من المنافقين عدّتهم اثنا عشر رجلاً، اجتمعوا على الكيد بالنبي ﷺ، ثمّ دخلوا عليه لذلك الغرض فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره به. فقال ﷺ: إنّ قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه، فليقوموا وليستغفروا الله حتى استغفر لهم، فلم يقوموا.

فقال: ألا تقومون!! فلم يفعلوا، فقال ﷺ: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى عدّ اثني عشر رجلاً، فقاموا، وقالوا: كُنّا عزمنا على ما قلت، ونحن نتوب إلى الله من ظلمنا أنفسنا، فاستغفر لنا، فقال: الآن أخرجوا عني، أنا كنت في أول أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله أسرع إلى الإجابة.

سريان هذه الخصوصية فيه ﷺ بعد رحيله ، فهو إماماً حياً وميتاً كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد قامت سيرة المسلمين على إتيان قبره وزيارته والإستغفار عنده وطلب الشفاعة بين يديه.

والتزم العلماء استمرار خصوصيات النبي ﷺ حتى بعد رحيله ، فالآية الشريفة : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ حية كما أنها في حال حياته ، ويُستدلّ بها لخفض الصوت عند مرقد الشريف^(١).

(١) وقال السبكي في شفاء السقام للسبكي ص (٦٩ - ٧٠) : " دلت الآية على الحث على الجيء إلى الرسول ﷺ والإستغفار عنده واستغفاره لهم ، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة ، فهي رتبة له لا تنقطع بموته ، تعظيماً له . " وقال : " والآية وردت في أقوام معينين في حالة الحياة ، فتعمّ بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت ، ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين ، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى . "

وروى : أنه اجتمع مالك بن أنس مع أبي جعفر المنصور في الروضة الشريفة عند قبر النبي ﷺ وكان أبو جعفر قد رفع صوته هناك فاستنكر عليه مالك قائلاً : يا أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أذّب قوماً فقال : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوماً فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وذمّ قوماً فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ﴾ وإنّ حرمة ميتاً كحرمة حياً . فسأله أبو جعفر المنصور : أستقبل القبلة وأدعوا ، أم استقبل رسول الله ﷺ !! فقال مالك : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ .

وأما النصوص الواردة في زيارة النبي ﷺ للقبور فهي مستفيضة، تتفاوت عناوينها بين المشروعية والإستحباب، وهي مدعومة بفعل النبي ﷺ وقوله، والمعلوم أنّ الأصل في الأشياء الإباحة وليس الحظر، وقد أبحاث زيارة القبور إستمراراً لما عليه الشرائع السابقة، وتقدّم بيان ذلك في آية الكهف، ويظهر من بعض أحاديث أهل السنّة ورود المنع المعلن عن الزيارة بعد فترة الإباحة ثمّ الإباحة. فقد أخرج مسلم قوله ﷺ: "كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها"^(١). والحديث ظاهر في الإباحة ثمّ الحظر ثمّ الإباحة، وفي حديث آخر مروى عن ابن عباس يذكر فيه النبي ﷺ علة الحظر المؤقت..

فيروى أنه ﷺ قال:

"نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا هُجراً"^(٢).

وفي ذيل الحديث ينزه الزيارة من علة الحظر ويرسخ أدباً من آدابها، وقد تناول ﷺ غير هذا الحديث جملة من الآداب التربوية التي يرمي إليها الدين بتشريعها لزيارة القبور..

من قبيل قول النبي ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها

(١) راجع صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٢/٣٦٦/١٠٧)، وسنن الترمذي (٣/٣٧٠/١٥٠٤)،

والسنن الكبرى للنسائي (١/٦٥٣/٢١٥٩)، والمستدرک للحاكم النيسابوري (١/٥٣٠/١٣٨٥)،

ومصايح السنّة (١/٥٦٨/١٢٣٩).

(٢) راجع المعجم الكبير للطبراني (١١/٢٠٢/١١٦٥٣)، والمعجم الأوسط (٣/٣٤٣/٢٧٣٠)،

ومجمع الزوائد للهيثمي (٣/٥٨).

فإنها ترق القلوب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً" (١).
وفي لفظ آخر:

" كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا" (٢).
وفي لفظ آخر: " وتذكر الآخرة" (٣).

وروى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ زار قبر أمه ولم يستغفر لها، قال:
أمرت بالزيارة ونهيت عن الإستغفار، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت (٤).
وطالما كانت تتوق نفسه إلى زيارة قبر أمه ﷺ فاستأذن الله تعالى في زيارة
قبرها فأذن له، فإنّ النفوس السليمة تشتاق لصلة الأحبة أحياءً وأمواتاً، وتميل
النفوس بطبعها إلى آثار الحبيب وما يرمز إليه، ومن الفطرة أن تتعهد القلوب
زيارة قبور أحبائها بباعث ذاتي من صميم فضيلتها، ولن يخالف ذلك دين
أساسه الفطرة أبداً، بل وضع الإسلام آدابها ونزهها من محذوراتها، ولم

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال ج (١٥) ح (٤٢٥٥٥ و ٤٢٩٩٨).

(٢) راجع كنز العمال ج (١٥) ح (٤٢٥٥٢).

(٣) رواه ابن ماجة في السنن (٥٠١/١) ح (١٥٧١).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٦٧١/٢) ح (١٠٨)، وأحمد بن حنبل في المسند (٤٤٤/١)، وابن
ماجة في السنن (٦٧٦/١)، وأبو داود في السنن (٧٢/٢)، والبيهقي في السنن (٧٦/٤)،
والنسائي في السنن (٩٠/٤)، والحاكم في المستدرک (٣٧٦/١).

وإنّا وإن كنّا نتحفّظ بالنسبة لعدم استغفار النبي ﷺ لأمه، ونجزم بإيمان آباء النبي ﷺ
وأمه ﷺ ونقطع به، لقول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. لكننا أوردنا الرواية من
باب الإحتجاج في مقام تشريع الزيارة ليس إلّا، وبما أنّها مسّت ساحة النبي الكريم ﷺ
فاقتضى التنويه.

يبلغنا منعٌ في سائر الأديان، فإذا منعه الدين فإنما هو لمحدور يقتضي المنع، وقد نصَّ عليه الحديث.

وورد في سيرته عليه السلام زيارة القبور والوقوف عليها فضلاً عن مجرد تشريعها، فرُوِيَ عن عائشة أن النبي عليه السلام قال لها: أتاني جبرائيل فقال: إن ربك يأمرُك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ورحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون^(١).

ورَوَى ابن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله عليه السلام يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العاقبة"^(٢).

ومن الغريب العجيب أن يحرم البعض حتى زيارة قبر النبي عليه السلام، فيحرم الناس من نيل شرف الوقوف بين يديه، وحضُّ البعض على الجفاء به!! رغم أنَّ المتقدمين من علماء أهل السنة الأعلام كانوا قد شيدوا زيارة قبره عليه السلام ونصّوا على فضلها^(٣).

(١) راجع صحيح مسلم (٤٤/٧)، وسنن النسائي (٩١/٤).

(٢) راجع صحيح مسلم (٤٥/٧).

(٣) ونصّ جملة من علماء أهل السنة والجماعة على فضل زيارة النبي عليه السلام، ومنهم الإمام الغزالي في كتاب الحج من إحياء العلوم (٣٠٥/١ - ٣٠٦) فإنه قال: "الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها، قال عليه السلام: من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، وقال عليه السلام: من وجد سعة ولم يقد إليّ فقد جفاني." إلى أن قال: "فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول

الله ﷺ في طريقه كثيراً، فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار، وأماناً من العذاب وسوء الحساب. ثم ذكر آداب الزيارة وصيغتها، كما ذكر زيارة الشيخين وزيارة البقيع بمن فيها، كزيارة قبر عثمان وقبر الحسن بن علي". ثم قال: "ويصلي في مسجد فاطمة عليها السلام ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وقبر صفية عمه رسول الله ﷺ، فذلك كله بالبقيع".

وقال القاضي عياض المالكي في شفاء السقام في زيارة خير الأنام (٢/١٩٤ - ١٩٧): "وزيارة قبره عليه السلام سنة مجمع عليها، وفضيلة مرغّب فيها. ثم ذكر عدة من أحاديث الباب، فقال: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومّا لم يزل من شأن من حج المزور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطن قدميه، والعمود الذي استند إليه ومنزل جبرئيل بالوحي فيه عليه".

وفي كتاب المدخل لابن الحاج (١/٢٥٧): قال الإمام القدوة ابن الحاج محمد بن محمد العبدري القيرواني المالكي بعد أن ذكر لزوم وكيفية زيارة الأنبياء والرسل عليهم السلام والتوسل بهم إلى الله تعالى وطلب الحوائج منهم. قال: "وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين عليه السلام فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه، أعني في الإنكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده، ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنه عليه السلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة". إلى أن قال: "فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجه منه، فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار، ويحتاج إلى الأدب الكلّي في زيارته عليه السلام، وقد قال علماؤنا رحمهم الله: إن الزائر يشعر بنفسه بأنه واقف بين يديه عليه السلام كما هو في حياته".

وجاء في كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي للحنبلي ص (٧) طبعة الأولى / القاهرة / المطبعة الخيرية: قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الحنبلي المقدسي: "إن ابن تيمية ذكر في مناسكه: باب زيارة قبر النبي عليه السلام: إذا أشرف على مدينة النبي عليه السلام قبل الحج أو بعده، فليقل ما تقدم. إذا دخل استحبه له أن يغتسل، نص عليه الإمام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ

برجله اليمنى، وقال: بسم الله والصلاة على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء. ثم يأتي قبر النبي فيستقبل جدار القبر ولا يمسه ولا يقبله، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبي، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منتكس الرأس، غامض الطرف، متحضرًا بقلبه جلاله موقفه ثم يقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته اللهم آتة الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً".

وقد صنّف الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي كتاباً حافلاً في زيارة النبي الأعظم ﷺ وأسماء شفاء السقام في زيارة خير الأنام رداً على ابن تيمية، وفيه ص (٦٦ و ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ و ١٠٠) قال: "لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه، والحنفية قالوا إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات، ومن صرح بذلك منهم أبو منصور محمد بن مكرم الكرمانى في مناسكه، وعبد الله بن محمود". ثم قال: "وكيف يتخيل في أحد من السلف نهيمهم من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى، فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء الذين ورد فيهم أنهم أحياء، كيف يقال فيهم هذه المقالة! وحكى عن القاضي عياض وأبي زكريا النووي إجماع العلماء والمسلمين على استحباب الزيارة".

وقال أيضاً: "وإذا استحبت زيارة قبر غيره ﷺ فقبره أولى لما له من الحق ووجوب التعظيم، ثم إنه استدل على أن السفر إلى الزيارة قربة بالكتاب والسنة والإجماع". وقال: "الإجماع، إطباق السلف والخلف، فإن الناس لم يزلوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته ﷺ، فمنهم من يفعل ذلك قبل الحج، هكذا شاهدناه وشاهده من قبلنا وحكاها العلماء عن

وظلّ مشهده الشريف محلاً لنزول السائلين وباباً للخير والرحمة، وتوالت سيرة المحبين بقصده طبيعية على السجّية، وروى سفيان بن عنبّر عن العتبي، وكلاهما من مشايخ الشافعي وأساتذته، أنه قال: كنتُ جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم استغفر وانصرف^(١).

ويروي أبو سعيد السمعاني عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله ﷺ فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي^(٢).

→ الأعرصار القديمة، ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على الخطأ فهو المخطيء".

(١) راجع وفاء الوفا (٤/١٣٦١)، والدرر السنية لزيّني دحلان ص (٢١).

(٢) راجع الجوهر المنظم لابن حجر، وذكره السمهودي في وفاء الوفا (٢/٦١٢)، وزيني دحلان

هذا هو فضل زيارة رسول الله ﷺ من غير شك ، والأمر يجري في زيارة أفلاذ كبده وأهل بيته عليه السلام أيضاً ، ففضل زيارتهم من فضل زيارته ، ويدرك المسلمون المنصفون ذلك بالوجدان ، فآله عليه السلام شركاؤه في كل الخصوصيات إلا النبوة بلوازمها ، وقد قرنهم الله به ﷺ بالذكر والأذان والصلوات ، وشرفهم حيث شرفه .

ويقرو المؤمنون المحبون أن تكريم أي واحد من أولاده الأطهار عليه السلام إنما هو تكريم له ، وقد قال ﷺ : " إنما يُكرم المرء في ولده " مضافاً إلى كونهم خلفاؤه وامتداده وحججه ، والأهداف المترتبة على زيارته مترتبة على زيارتهم ، ودلت التجربة على كونهم الحصن لمن التجأ إليهم والوسيلة لقضاء الحاجات ، وتعاهد الموفقون زيارتهم ، وهذه قبابهم عالية المنار أينما حلوا .

وتواترت نصوص كثيرة بوصف الثواب الجزيل المترتب على زيارتهم والوقوف على عتباتهم المقدسة ، حتى صنفت كتب في خصوص الزيارة وثوابها وآدابها والمواقيت المفضلة فيها ، ويحتل الإمام الحسين عليه السلام من بينهم منزلة خاصة من هذه الجهة ، فزيارته مفضلة على زيارة الجميع ، وحث أهل البيت عليه السلام على زيارته بنصوص تستدعي الدراسة والتأمل .

وينطوي الكلام على نشر خصوصية خصيصة في الإمام الحسين عليه السلام من حيث فضله ومصيبته ، إذ عوضه الله تعالى عن شهادته بتوجيه قلوب الشيعة التي جعلها الله تهوي إليه من كل حدب وصوب ، طلباً للثواب والأجر الجزيل ،

ورجاء سعادة الدنيا والآخرة.

كربلاء المقدسة

عبير الشهادة.. لها ذلك الشذى الفوّاح والأريج الخلاب على مسرح الحدث، والألق الجذاب في محيط المشهد الدامي بالجراح، ولدماء العترة الطاهرة هيمنة على جذوة الأحاسيس والمشاعر، على الأخص في محيط المصراع الأبّي الشامخ، وعلى الدقة في البقعة التي شرفها سيّد الشهداء عليه السلام بمهجته المراقبة، والتي راح يلتقطها جدّه عليه السلام من طفّ كربلاء صاعداً بها إلى السّماء، والتي قد خشعت لها أظلة العرش !!

فمن كربلاء المقدّسة وشاطيء الطفّ الإنطلاقة، ومنها سرّ البقاء والخلود، وفيها حرارة الدّمة، وفيها يكمن سرّ الحزن والأسى، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً"^(١).

ويدرك المحبّون الزّائرون أنّ للوقوف على ذلك الصّرح المهيب جذبةً قدسيّة ملكوتيّة، وانعكاسات حزينة تستوعبُ شغاف القلب.. فهذه هي التربة المقدّسة التي تشرّفت بجسد خامس أصحاب الكساء عليهم السلام فطابت وزكت، وطهرت بعد أن تروّت بدمائه الطّاهرة، ولا زالت تعبّق بريح الكرامة ممزوجة بروح النبوة والإمامة..

أئمة ربّ النهي مولىّ له الأمر
وصيُّ رسول الله والصنوّ والصّهرُ

إمام الهدى سبط النبوة والهدى
أبوه الإمام المرتضى علم الهدى

(١) راجع مستدرک الوسائل (١٠/٣١٨).

إمامٌ بكته الإنسانُ والجنُّ والسَّما
 لهُ القَبَّةُ البيضاءُ في الطَّفِّ لم تزل
 لهُ تربةٌ فيها الشِّفاءُ وقُبَّةٌ
 ودُرِّيَّةٌ دريَّةٌ منه تسعةٌ
 أُيقتلُ ظمآنًا حسينٌ بكربلا
 ووالدهُ السَّاقِي على الحوضِ في غدٍ
 ووحشُ الفَلا والطَّيرُ والبرُّ والبحرُ
 يطوفُ بها حُزنًا ملائكةٌ غُرُّ
 يجابُ بها الدَّاعي إذا مسَّه الضُّرُّ
 أئمةٌ حقٌّ لا ثمانٌ ولا عشرُ
 وفي كلِّ عضوٍ من أنامله بحرُ
 وفاطمةُ ماءُ الفُراتِ لها مهرُ

فهذا قبر سيّد الشهداء عليه السلام إمام المشهد الدّامي ، وهو مقطوع الوريد ،
 محزوز الرأس ، مرضوض الصّدر ، وهذا خنصره المقطوع .. وهذا رضيعه الصّغير
 الملطّخ بالدماء على صدره ، وهذا ولده الشهيد علي الأكبر عليه السلام المقطّع بضربات
 السيوف وطعنات الرّماح عند رجليه ..

فإذا وقفت على الرّخامة الحمراء فأنت ممّا يلي رأسه الشريف .. أو لنقل منحره
 الشّريف .. وإذا واجهت شبّاكه الفضّي رأيت الجلال والعظمة والكبرياء والشّمم
 بأجلى صورته وأروعته .. فإذا طفت ضريحه الأطهر قرأت عليه نقش الخلود
 مخطوطاً برائعة الجواهري :

فداءً لثواك من مضجع
 بأعقب من نفحات الجنا
 ورعيّاً ليومك يوم الطفوف
 وحزناً عليك بحبس النفوس
 وصوناً لمجدك من أن يُذال
 فيا أيّها الوتر في الخالدين
 تنوّر بالأبلج الأروع
 نِ روحاً ومن مسكها أضوع
 وسقيّاً لأرضك من مصرع
 على نهجك النير المهيع
 بما أنت تأباه من مُبدع
 فداً إلى الآن لم يُشفع

وياعضة الطّامحين العظام
تعاليت من مفزعٍ للحتوف
تلوذ الدهور فمن سُجّدٍ
شممت ثراك فهبّ النسيم
وعفرتُ خدّي بحيث استراح
وحيثُ سنابك خيل الطّغاة
وخلتُ وقد طارت الذكريات
وظفتُ بقبرك طوف الخيال
كأنّ يداً من وراء الضريح
تمدّ إلى عالم بالخنوع
لتبدل منه جديب الضمير

للاهين عن غدهم قُتّع
فبورك قبرك من مفزع
على جانبيه ومن رُكّع
نسيم الكرامة من بلقع
خدّ تفرّى ولم يضرع
جالت عليه ولم يخشع
بروحي إلى عالم أرفع
بصومعة الملهم المبدع
حمراء مقطوعة الإصبع
والضيم ذي شرق مُترع
بآخر معشوشبٍ ممرع

وإذا ملت إلى جهة رجليه الشريفتين فإنك مائلٌ أمام أبطال تلك المعركة
الكريمة، ومواجهة الضريح الموحد الأشرف الذي يضمّ عموم أهل بيته وأنصاره
عليه السلام المستشهدين بين يديه.. وفيه إخوته الأوفياء، وأولاده الغرّ، وبنو أخيه
التّجباء، وبنو عمّه الأبرار، وأصحابه جميعاً.. فهم على مقربة منه.

قد جاوروه هاهنا بقبورهم وقصورهم يوم الجزا متحاذيه
فيذا زرتهم وخرجت من الروضة الحسينية من جهة القبلة واجهت على
يمينتك قبر حبيب بن مظاهر الأسدي، فإنه بوابه المدفون إلى جواره منفرداً.. فإذا
حاذيته فأنتك بإزاء حجرة المنحر " المذبح " ، والبقعة التي قد باشر فيها الشمر بن
ذي الجوشن ذبحه فيها!!

فإذا ما التفتّ عن ميمنتك وليس بالبعيد عن الحرم الشريف فأنتك مواجهه قبله
الأحزان ومركز الأئين والحنين ، حيث يقع التلّ الزينبي الحزين ، الذي وقفت عليه
ربيبةُ الخدر زينب بنت أمير المؤمنين عليّ السلام في ذلك اليوم الأسود ، واستغاثت بأخيها
الصريح عليّ السلام ووجهت له النداء الأخير ، فأجابها فؤاده المصاب بالسهم المثلث :
"أخيّه زينب.. كسرتي قلبي ، وزدتيني كرباً فوق كربى.. أخيّه عودي إلى الخيمة
واحفظي لي عيالي وأطفالي !!

فإذا تمثّلت ذلك في خاطرك واستحضرت أصوات النساء والأطفال وهم
يستغيثون في يوم كثر واتره وقلّ ناصرُه لزمك الوقوف على بيوت أهل البيت عليّ السلام
الحزينة ومعسكرهم الخالي الكئيب.. فإذا مشيتَ قبله التلّ قابلك المخيم وبيوت
الأرامل والثكالي ، التي أحرقتها عساكر بني أمية واستباحتها ظهيرة عاشوراء..
وإذا ما لمحتَ بطرفك الحرم الحسيني الشامخ لمعت أمامك قبة ذهبية شماء
تحاكي قبة إمام الطّف عليّ السلام ، ولاح ما يخطف بصرك ، إنه حرمٌ مهيب يحاكي إمام
الطّف عليّ السلام هيبهً ونوراً وجلالاً..

تسامت قبة نورا شبّت	كنار قرى تدلّ على مضيف
تُغالبُ بالسّنا وهج الثريا	وترمي الشمس داهية الخسوف
وترمق قبة العباس دوماً	لجارتها على خجلٍ لطيف
تعاين قبة المولى حسين	وتهمس نحوها همس الظريف
وتقتبس الضيا منها مناراً	وليس بنافذ جود الشّفوف
بيمن إمامه انبسطت يده	وأغرق جوده جود العطوف

فإذا مشيتَ إلى ذلك الحرم المهيب وقطعتَ مقدار المسافة التي يتعد فيها

الصفا عن المروة فأئك بين يدي عميد العسكر وحامل اللواء ومجمع العدد، إنه أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام.. الذي اختار البقاء حيث وقع في المعركة، ليكون الأقرب إلى مشرعة الفرات، فهو ساقى عطاشى كربلاء إلى الأبد !!

فإذا دخلت حرمه الأيمن وواجهت ضريحه الأغر اجتذبتك روح عملاقة إلى صميم الجود والفضيلة، وشعرت بهيبة شماء، وشموخ يرقى على عالم الدنيا، وحيثك يدٌ كريمة معطاءة "لكنها قطيعة".. فأنت مائلٌ أمام باب الحوائج، وإذا طفت شبّاكه الفضّي البهي قرأت عليه نقش الشموخ والفضيلة، وقد كتب عليه:

ضريحك مفرغنا الأيمن	به كل نازلة تدفع
وبابك للخلق باب النجاة	تلوذ بعزته الروع
أبا الفضل والفضل ينمى إليك	فأنت لألطافه منبع
ويا بطل الطف هذا لوك	على كل شاهقة يرفع
وهذا حسامك أنشودة	بها ينتشي البطل الأروع
وجودك والسهم قد شك فيه	شعاراً لعلائه يخشع
وكفّاك مقطوعتنا نعمة	بها كل مكرمة تسجع
ورأسك يرفع فوق القنا	هو الشمس في أفقها تسطع
تعاليت من مجمع للجلال	غوالي الجمال به تجمع
وقدست من شاهد للإخاء	بذكراه أدمعنا تهمع
ضريحك كعبة وفد الولاء	إليه قوافله تسرع
لشيعةكم فيه يعلو الأنين	لكم وتسيل به الأدمع

فإذا انصرفت من زيارته و حرمه مما يلي رجليه الشريفتين لتقف على مقامي

كفيه الشريفتين ، وإذا وقفت عندهما.. فأئك لستَ بالبعيد عن نهر الفرات الذي قُتل كلُّ هؤلاء السادة المظلومون عليهم السلام بجواره ، ولم يذوقوا منه قطرة ، وهو مع هذا لا يزال يجري كما تجري الدموع بجوار تلك القبور ليلاً ونهاراً..
فأيّ مأساة أكبر من هذه المأساة !! وأي رزية أعظم من هذه الرزية !! وأي مصيبة أعظم من هذه المصيبة !!

والمؤمنون في وقوفهم على هذه المشاهد يترقون لأعظم التجليات ، ويؤهلون أنفسهم للمثول في ساحة القرب من الله تعالى ، بالإعتبار والتفاعل مع أوليائه الشهداء ، والتمازج بالعواطف العاقلة مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بمشاركة أحزانه وآهاته في أهل بيته عليهم السلام ، وبتكثير سواد العترة عليهم السلام الذي حاول الطغاة تبديده ومحوه يوم عاشوراء ، قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

وبالوقوف على تلك الصروح يوطن الإنسان نفسه على العطاء والبذل والمواساة والإلتزام الديني ، وبه يعرف قيمة الدين والكتاب والمقدسات التي قيمها مولانا سيد الشهداء عليه السلام بنفسه الطاهرة ونفوس أهل بيته وأصحابه البررة ، فيحافظ على أحكامه ويذب عن حياضه ويبذل الغالي والرخيص في حمايته ، ويجدد عهده مع الله تعالى وأهل الله عليهم السلام بذلك.

فتتأتى بالسعي بينها مغام كبرى لا تتأتى في أي عبادة أخرى ، ولهذا فإن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لم يعذروا أحداً في ترك زيارته ، وجاءت ألفاظهم توحى بالوجوب ، بل تقطع به ، وترجحه على العبادات العظيمة الواجبة ، وقد أفتى بعض الأعلام من المحدثين الأخباريين بوجوب زيارته عليه السلام في العمر مرة ،

وحمل عامة الفقهاء الآخرين تلك الأخبار على الإستحباب المؤكّد.

ثواب زيارة الحسين

لن أفي في هذه العجالة موضوع الزيارة حقّه قطعاً، والأحرى أن يُكتب فيها كتابٌ مستقل، بل كُتِب، إلاّ أنّه لا بدّ من وقفة سريعة على نُخبٍ من الروايات التي نقلها الأعلام في مصنّفاتهم، كالشيخ المفيد رحمته في المزار وابن قولويه رحمته في كامل الزيارات والعلامة المجلسي رحمته في بحار الأنوار، فالمرويّات في باب الزيارة بلغت حدّاً يصعب معه استيفؤها.

❖ رُوِيَ عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: "مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليه السلام، فإنّ زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل" (١).

❖ ورُوِيَ عن محمّد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: "زوروا الحسين ولو كل سنة، فإن كل من أتاه عارفاً بحقه غير جاحد لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل، إن الله وكلّ بقبر الحسين أربعة آلاف ملك كلهم يبكونه ويشيّعون من زاره إلى أهله، فإن مرض عادوه، وإن مات حضروا جنازته بالإستغفار له والترحم عليه" (٢).

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٥١)، وبحار الأنوار (١/٩٨)، والفتاوى (٥٨/٢)، وتهذيب الأحكام (٤٢/٦)، ووسائل الشيعة (٤١٣/١٤)، و الأمل للصدوق ص (١٤٣)، وروضة الواعظين (١٩٤/١).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٨٦)، وبحار الأنوار (٢/٩٨).

❖ وروي عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، قلت: جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟

قال: "أقول إنه قد عرق رسول الله صلى الله عليه وآله وعقنا واستخف بأمر هوله، ومن زاره كان الله من وراء حوائجه، وكفى ما أهمه من أمر دنياه، وإنه ليجلب الرزق على العبد، ويخلف عليه ما أنفق، ويغفر له ذنوب خمسين سنة، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلا وقد محيت من صحيفته.

فإن هلك في سفره نزلت الملائكة فغسلته، وفتح له باب إلى الجنة يدخل عليها روحها حتى ينشر، وإن سلم فتح له الباب الذي ينزل منه الرزق، ويجعل له بكل درهم عشرة آلاف درهم وذخر ذلك له، فإذا حشر قيل له: لك بكل درهم عشرة آلاف درهم، وإن الله نظر لك وذخرها لك عنده"^(١).

❖ وروى عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنَّ حقَّ الحسين عليه السلام فريضة من الله، واجبة على كل مسلم"^(٢).

❖ وروى عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: "من أراد أن يعلم أنه من أهل الجنة فليعرض حبنا على قلبه، فإن قبله فهو مؤمن،

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٢٨)، ووسائل الشيعة (٤٨١/١٤)، وبحار الأنوار (١٧٢/٤٥).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٢٢)، وبحار الأنوار (٣/٩٨)، وكتاب المزار ص (٢٧)،

وتهذيب الأحكام (٤٢/٦)، ووسائل الشيعة (٤٢٨/١٤).

ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام ، فمن كان للحسين عليه السلام زوّاراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت ، وكان من أهل الجَنَّة ، ومن لم يكن للحسين عليه السلام زوّاراً كان ناقص الإيمان ^(١) .

❖ ورُوِيَ عن أبان بن تغلب قال : قال لي جعفر بن محمد عليه السلام : يا أبان متى عهدك بقبر الحسين عليه السلام ؟

قلت : لا والله يا ابن رسول الله ، ما لي به عهد منذ حين .

قال عليه السلام : " سبحان ربّي العظيم وبحمده ، وأنت من رؤساء الشيعة ، تترك الحسين لا تزوره ، من زار الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحى عنه بكل خطوة سيئة ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . يا أبان بن تغلب لقد قتل الحسين صلوات الله عليه فهبط على قبره سبعون ألف ملك شعث غبر يبكون عليه وينوحون عليه إلى يوم القيامة " ^(٢) .

❖ ورُوِيَ عن علي بن ميمون الصايغ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا علي بلغني أن قوماً من شيعتنا يمرّ بأحدهم السنة والسنتان لا يزورون الحسين عليه السلام ! قلت : جعلت فداك ، إني أعرف أناساً كثيراً في هذه الصّفة ..

قال : أما والله لحظّهم أخطأوا ، وعن ثواب الله زاغوا ، وعن جوار محمد صلى الله عليه وآله تباعدوا ، قلت : جعلت فداك في كم الزيارة ؟ قال : يا علي ، إن قدرت أن تزوره في كل شهر فافعل . قلت : لا أصل إلى ذلك لأتني أعمل بيدي ، وأمور

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٩٣) ، وبحار الأنوار (٤/٩٨) ، ووسائل الشيعة (٤٣٢/١٤) .

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٣٣١) ، وبحار الأنوار (٧/٩٨) ، ومستدرك الوسائل (٢٥٧/١٠) .

الناس بيدي ولا أقدر أن أغيب وجهي عن مكاني يوماً واحداً..

قال: أنت في عذر، ومن كان يعمل بيده، وإنما عنيت من لا يعمل بيده ممن إن خرج في كل جمعة هان ذلك عليه، أما إنه ما له عند الله من عذر، ولا عند رسوله من عذر يوم القيامة. قلت: فإن أخرج عنه رجلاً فيجوز ذلك؟ قال: نعم، وخروجه بنفسه أعظم أجراً وخيراً له عند ربه، يراه ربه ساهر الليل له تعب النهار، ينظر الله إليه نظرة توجب له الفردوس الأعلى مع محمد وأهل بيته، فتنافسوا في ذلك وكونوا من أهله^(١).

❖ ورؤي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من الفضل لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات. قلت: وما فيه؟ قال: من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد، من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله..

ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله وأكفانه والإستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالإستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى

(١) راجع كامل الزيارات ص (٢٩٥)، وبحار الأنوار (١٢/٩٨).

الجنة ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويعطى يوم القيامة نورا يضيئ لنوره ما بين المشرق والمغرب ، وينادي مناد : هذا من زوار قبر الحسين بن علي شوقاً إليه ، فلا يبقى أحد في القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين بن علي عليه السلام^(١).

❖ ورؤي عن موسى بن القاسم الحضرمي قال : قدم أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر فنزل النجف ، فقال : يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم ، فقف على الطريق فانظر فإنه سيجيئك رجل من ناحية القادسية ، فإذا دنا منك فقل له : ها هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك فسيجيء معك .
قال : فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد ، فلم أزل قائماً حتى كدت أعصي وأنصرف وأدعه ، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير..

قال : فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني . فقلت له : يا هذا ها هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك وقد وصفك لي ، قال : اذهب بنا إليه . قال : فجيئته حتى أناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة.. قال : فدعا به ، فدخل الأعرابي إليه ، فدنوت أنا فصرت على باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن ، قال : فأنت من موضع كذا وكذا ؟ قال : نعم أنا من موضع كذا وكذا ، قال : فيما جيئت ها هنا قال : جيئت زائراً للحسين عليه السلام.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : فجئت من غير حاجة ، ليس إلا الزيارة ؟
قال : جيئت من غير حاجة ، ليس إلا أن أصلي عنده ، وأزوره وأسلم عليه ، وأرجع إلى أهلي ، قال له أبو عبد الله عليه السلام : وما تروون في زيارته ؟ قال : نروي في زيارته إنا نرى البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعاشنا وقضاء

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٤٢) ، وبحار الأنوار (١٨/٩٨) ، ومستدرک الوسائل (٣٠٩/١٠).

حوائجنا، قال: فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال: زدني يا بن رسول الله، قال: إن زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله ﷺ، فتعجب من ذلك، فقال: إي والله، وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله ﷺ فتعجب من ذلك، فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله ﷺ ^(١).

❖ وقال العلامة المجلسي رحمته: وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي نقلاً من خط الشهيد رحمته، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور، قال: "روي أنه دخل النبي ﷺ يوماً إلى فاطمة عليها السلام فهيأت له طعاماً من تمر وقرص وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فلما أكلوا سجد رسول الله ﷺ وأطال سجوده ثم بكى ثم ضحك ثم جلس، وكان أجراًهم في الكلام علي عليه السلام.

فقال: يا رسول الله، رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك؟!

فقال ﷺ: إني لما أكلت معكم فرحت وسررت بسلامتكم واجتماعكم فسجدت لله تعالى شكراً. فهبط جبرئيل عليه السلام يقول: سجدت شكراً لفرحك بأهلك؟ فقلت: نعم. فقال: ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك؟

فقلت: بلى يا أخي يا جبرئيل. فقال: أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً بك، بعد أن تظلم ويؤخذ حقها، وتمنع إرثها، ويظلم بعلمها، ويكسر ضلعها. وأما ابن

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٦٢)، وجمار الأنوار (٣٧/٩٨)، ومستدرک الوسائل (٢٦٩/١٠)، وثواب الأعمال ص (٩٣).

عمك فيظلم ويمنع حقه ويقتل ، وأما الحسن فانه يظلم ويمنع حقه ويقتل بالسّم. وأما الحسين فإنّه يُظلم ، ويمنع حقه ، وتقتل عترته وتطوّه الخيول ، وينهب رحله وتسبى نساؤه وذرائه ، ويدفن مرّماً بدمه ويدفنه الغرباء ، فبكيت وقلت : وهل يزوره أحد ؟ قال : يزوره الغرباء ، قلت : فما لمن زاره من الثّواب ؟ قال : يكتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة كلها معك ، فضحك^(١).

❖ ورُوِيَ عن أبي الصباح الكناني قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن إلى جانبكم قبراً ما أتاه مكروب إلاّ نفس الله كربته وقضى حاجته ، وإن عنده لأربعة آلاف ملك منذ قبض شعثاً غبراً بيكونه إلى يوم القيامة ، فمن زاره شيّعوه ، ومن مرض عادوه ، ومن مات اتبعوا جنازته^(٢).

❖ ورَوَى ابن قولويه بسنده إلى زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما تقول فيمن زار أباك على خوف ؟ قال : يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر ، وتلقاه الملائكة بالبشارة ، ويقال له : لا تحف ولا تحزن ، هذا يومك الذي فيه فوزك^(٣).

❖ وفيه عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : يا معاوية ، لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف ، فإن من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده ، أ ما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام ، أ ما تحب أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى ويغفر له ذنوب سبعين سنة ، أ ما تحب أن تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه

(١) راجع بحار الأنوار (٤٤/٩٨).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٦٧) ، وبحار الأنوار (٥٦/٩٨).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (١٢٥).

ذنب يتبع به ، أ ما تحب أن تكون غداً ممن يصفحه رسول الله ﷺ^(١) .

❖ وفيه عن محمد بن مسلم قال : قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام : هل تأت قبر الحسين عليه السلام ؟ قلت : نعم ، على خوف ووجل ، فقال : ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف ، ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة ، وزاره النبي ﷺ ودعا له وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء ، واتبع رضوان الله^(٢) .

دعاء الصادق للزائرين

المحرّك الأوّل الذي يدفع الشيعة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام هو المعرفة المكتومة في بواطنهم ، وفي سبيل الولاء له يتحمّلون الأضرار وإن بلغت حدّ الموت ، وحبّه في النفوس مقدّم على النفس والأهل والولد ، وهذا سرٌّ معجز يرقى على التفسير والتأويل ، كخلود الحزن والبكاء عليه ، ولا يشرحه إلاّ التفسير الغيبي المسكت !!

ومن أعظم المحفّزات التي تدفع الشيعة لتجشّم العناء وتحملّ المصاعب بطي المسافات والصبر على البلايا والمصاعب في طريق الزيارة إيمانهم بالثواب الجزيل الذي أعدّه الله تعالى لهم ، ورغبتهم بالمواساة للعترة عليهم السلام والتقرب إليهم بأحبّ الأعمال وأحبّها إلى نفوسهم ، وبالتالي فيشملهم دعاء أئمتهم عليهم السلام .

والأئمة عليهم السلام يعكفون على الدعاء لزوّار مرقد الشريف ، ويبتهلون في طلب

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٢٦).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٢٦ - ١٢٧).

الرَّحمة والمغفرة والرَّضوان لشيعتهم الذين زهدوا في أبواب الدُّنيا وأعرضوا عن الراحة والدَّعة وطرقوا أبواب الآخرة وهاجروا إلى أولياء الله تعالى، ووقفوا على باب الرَّحمة وميزاب الخير ومنبع الفيض والعطاء.

وتتكفَّل الأخبار - ومنها هذه الرواية الذهبيَّة الفريدة - بتعبئة القلوب وتهيأة

النفوس بالشَّوق وندبها إلى زيارته عليه السلام وإن كانت لا تُنال إلاَّ بشقِّ الأنفس !!

❖ رُوِيَ عن معاوية بن وهب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتَه وهو يناجي ربه ويقول: "يا من خصَّنا بالكرامة، وواعدنا الشِّفاعة، وحملنا الرِّسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السَّالفة، وخصَّنا بالوصيَّة وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من النَّاس تهوي إلينا، إغفر لي وإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيِّك محمد صلى الله عليه وآله وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافهم عنَّا بالرَّضوان، واكلأهم بالليل والنَّهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم، الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرَّ كلِّ جبار عنيد، وكلِّ ضعيف من خلقك أو شديد، وشرِّ شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن التَّهوض والشَّخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشَّمس، وارحم تلك الخدود التي تقلَّب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين

التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان، حتى ترويهم من الحوض يوم العطش."

فما زال (صلوات الله عليه) يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له: جعلت فداك، لو أن هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله، لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أني كنت زرتة ولم أحج. فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ يا معاوية لا تدع ذلك. قلت: جعلت فداك، فلم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله.

فقال: يا معاوية، ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوف من أحد، فمن تركه لخوف، رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان بيده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله ﷺ؟ أما تحب أن تكون غداً ممن تصافحه الملائكة، أما تحب أن تكون غداً فيمن يأتي عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحب أن تكون غداً فيمن يصافح رسول الله ﷺ^(١).

كل هذا الثواب !!

يظن البعض أنه يقسم رحمة الله سبحانه فيستكثر عطاءه، ويتشابه الأمر على البعض فيخلط بين الأمور، ويشتهبه في درك موازين الثواب والعقاب، وطبيعي أن لا تنكشف أسرار ذلك بالقياس العقلي المحض، فالطريق لثبوت الثواب أو العقاب

(١) راجع بحار الأنوار (٨/٩٨)، ووسائل الشيعة (٤١١/١٤)، ومستدرک الوسائل (٢٣١/١٠).

على أيّ عمل هو التّقل ، ويتعبّد المؤمن بما دلّت النّصوص الصحيحة على محبوبيّته عند المولى عزّ وجل ، وما ثبت بنصّ الكتاب أو قول وفعل وتقرير النّبي ﷺ أو أهل بيته المعصومين عليهم السّلام .

ويشير ذلك سؤالاً هو: كيف تكون عبادة مثل البكاء على الإمام الحسين عليه السّلام لها كلّ هذا الفضل والثواب !! أم كيف يكون مستحب كالزيارة أفضل من واجب ركن كالحج !! وما هو تقريب ذلك ؟

تقريب ذلك بتقرير أنّ التّفاضل بين العبادات يأبى القياس أصلاً ، ولا يثبت تفاوتها إلاّ بالدليل الشرعي الواضح ، ودلّ النصّ الشرعي على أنّ السّلام مستحبّ والردّ عليه واجب !! بينما قد يفهم الإنسان بعقله القاصر العاشر أنّ الإبتداء بالسّلام أهم من الردّ عليه ، فوجوب الإبتداء به أولى من الردّ !! وكذلك القول في كثير من الأحكام الشرعية ، فإنّ الشّرع قد أمرنا بمسح ظاهر القدم في الوضوء ، وقد يتوهّم الإنسان أنّ الأولى مسح باطنها ، فهو الجزء الذي يواجه الأرض ، وهو الذي يحتاج إلى التنظيف بحسب العادة !! ولا شكّ أنّ النّظافة مطلوبةٌ لكمال الصّلاة ، ولكنّ الشّريع أتى بخلاف ذلك .

ولا يعرف المصالح والمفاسد الواقعيّة غير المشرّع ، فالفرق شاسع بين موازين الإنسان وموازين السّماء ، سواء اهتمدنا إلى غاياتها وأسرارها أم لم نهتد ، فجهلنا لا يضرّ بمحبوبيّتها ومبغوضيّتها عنده تعالى ولا في أفضليّة عبادة على أخرى .

وفي مقامنا نلاحظ أنّ التفضيل غير ناظر لحيثيّة الوجوب والندب ، بل هو من حيثيّة الثواب ومقداره عند الله سبحانه ، ويتجلّى كرمه وجوده على عباده المتطوّعين ، إذ لا عيب في إعطائه على المندوب أضعاف ما يعطي على الفرض .

ونقرأ في النصوص وعد الله تعالى على بعض العبادات التطوعية أضعاف ما وعد على بعض الواجبات والفرائض ، وذلك غير عزيز في كتب الشيعة والسنة ، ففي باب قضاء حوائج الإخوان ورد ما يؤدي إلى أنه يفوق ثوابه ثواب أهم الواجبات ، خلافاً للقياس العقلي المحض.. وجاء عنهم عليهم السلام : من قضى لمؤمن حاجة كان أفضل من صيامه و اعتكافه في المسجد الحرام ^(١).

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهرًا ^(٢).

وفي ثواب الأعمال عن إسحاق بن عمار ، قال أبو عبد الله عليه السلام : يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله له ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف درجة ، وغرس له ألف شجرة في الجنة ، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة ، حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنة ، يقال له ادخل من أيها شئت !! فقلت : جعلت فداك ، هذا كله لمن طاف !! قال : نعم ، أفلا أخبرك بما هو أفضل من هذا !! قلت : بلى. قال : من قضى لأخيه المؤمن حاجة كتب الله له طوافاً وطوافاً حتى بلغ عشرًا ^(٣).

وربما يحسب الإنسان بقصوره أن الحجَّ والصلاة أفضل وأكثر ثواباً من كل عمل مهما بلغ ، وقد يظن أنها هي التي تثقل موازينه يوم القيامة بحيث لا تضاهيها عبادة ، لكنّه وردت مضامين عن رسول الله صلى الله عليه وآله غير هذا ، مثل : لا يثقل الميزان

(١) راجع بحار الأنوار (٢٣٢/٧١).

(٢) راجع بحار الأنوار (٣٠٢/٧١).

(٣) راجع بحار الأنوار (٣٠٢/٩٦).

شيء كالصلاة عليّ وعلى أهل بيتي.

ومسلّم عندنا عدم قبول الأعمال إلا بولاية أهل البيت عليهم السلام ، والولاية أفضل من جميع الأعمال وهي شرط قبولها ، وقال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَا أَيُّهَا تَنَا يَظْلِمُونَ ﴾ .

والكلام في العقوبات مثل الكلام في المثوبات ، فقد لا يتعقل أن تكون الغيبة أشد من الزنا ، والحال أن النص الشرعي ورد به !! وقد لا يُعقل أن عقوب الوالدين مساوغ للشرك بالله العظيم ، والحال أن النص الشرعي ورد به !! ودلت مضامين الأخبار الكثيرة الصادقة على ترتب المثوبات الجليلة على البكاء ، والإبكاء ، والتباكي ، وإنشاد الشعر والمراثي واستماعها ، وإقامة مجالس العزاء والحضور فيها ، والزيارة.. وبينها الصّحاح والموتقات والمتواترة إجمالاً ، ولا يتطرق لها الإنكار بالجملة بحال ، ولا يمكن التردد أو الشك في صدورهما عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام .

فهي عبادات مستحبة في نفسها من جهة ، ومن جهة أخرى هي داخلة تحت بعض العناوين الواجبة المهمة مثل عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين ، والقيام بها على وجهها الأكمل من أجل صور إقامة المعروف وإنكار المنكر ، وفيها تشييد الجهاد في سبيل الله تعالى والحرب على أعدائه والتقيح لسيرتهم .

وقد أمر الأئمة عليهم السلام بهذه العبادات بهدف تفاعل المؤمنين مع القضية الحسينية وحمل أهدافها ومبادئها وإحياء أمرها ، وتوطين النفس على التضحية

في سبيل رفع هذا الشعار في العسر واليسر.. وحُكيَ أنّ المتوكّل العبّاسي أمر بتحرير قبر الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام وكرب موضعه وإجراء الماء عليه وقتل زوّاره، وسلط قوماً من اليهود حتى تولّوا ذلك، إلى أن قُتل المتوكّل، فأحسن المنتصر سيرته، وأعاد التربة في أيامه.

أمّا الأئمة عليهم السلام فقد نجحوا في تحميل الشيعة أمانة النهضة الحسينية، فظلل الإمام أبو الأحرار عليه السلام سوطاً يؤرّق قرارَ الظالمين، وشوكة في عيون الطغاة والجبارين، وسيبقى كذلك، وفي تعرّض الشيعة لذكراه محقٌّ للظلم وإقامة للدين والعدل والفضيلة.

ولا نشكّ حينئذ أنّ المثوبات والآثار المترتبة على الشعائر الحسينية مشروطة بمعرفتهم عليهم السلام ومشايعتهم، ونصّت نصوصٌ كثيرة على هذا المطلب، فلا يلزم من فضل الشعائر إشكال إبطال التكاليف كما توهم البعض حينئذٍ.

مواقيت الزيارة

في كتب الحديث مجموعة كبيرة من روايات زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وقد صنّفت أبواب كثيرة ضمن سياق مواقيت الزيارة وأزمنتها المخصوصة، وفي بعضها مواقيت تشتد فيها استحباب الزيارة، وسنكتفي بإيراد بعض تلك الروايات عن كتاب كامل الزيارات، وهي موجودة في المصادر الأخرى..

❖ عن بشير الدهان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما فاتني الحج فأعرّف عند قبر الحسين عليه السلام، فقال: أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة

مبرورات متقبّلات ، وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل ، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة ومئة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل ، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة متقبّلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل ، قال : فقلت له : وكيف لي بمثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المغضب ، ثم قال : يا بشير ، إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل في الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ، ولا أعلمه إلا قال : وغزوة^(١) .

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٦٩) . وفيه : عن علي بن أسباط عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام عشية عرفة ، قال : قلت : قبل نظره لأهل الموقف ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا .
وفيه : عن عبد الله بن مسكان ، قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم ، ثم يأتي أهل عرفة فيفعل ذلك بهم .
وفيه : عن يونس بن يعقوب بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من فاتته عرفة بعرفات فأدركها بقبر الحسين عليه السلام لم يفته وإن الله تبارك وتعالى ليبدأ بأهل قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ، ثم قال : يخالطهم بنفسه ، (وفي نسخة : يخالطهم في نفسه) .
وفيه : عن يونس بن ظبيان ، قال أبو عبد الله عليه السلام : من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة في سنة واحدة كتب الله له ألف حجة مبرورة وألف عمرة متقبلة ، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة .
وفيه : عن بشير الدهان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : يا بشير أ حججت العام ؟ قلت : جعلت فداك لا ، ولكن عرفت بالقبر ، قبر الحسين عليه السلام ، فقال : يا بشير ، والله ما

❖ عن جابر الجعفي قال: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فقال لي: هؤلاء زوار الله وحق على المزور أن يكرم الزائر، من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله ملطخاً بدمه يوم القيامة كأنما قتل معه في عرصته، وقال: من زار قبر الحسين عليه السلام أي يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه^(١).

❖ عن زيد الشحام عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، ومن زاره يوم عرفة كتب الله له ثواب ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، ومن زاره يوم

فاتك شيء مما كان لأصحاب مكة بمكة، قلت: جعلت فداك فيه عرفات، فسر له لي!! فقال: يا بشير، إن الرجل منكم ليغتسل على شاطئ الفرات ثم يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها ويضعها مئة حجة مقبولة ومئة عمرة مبرورة ومئة غزوة مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء رسوله إلى أعدى عدو له، يا بشير أسمع وأبلغ من احتمل قلبه، من زار الحسين عليه السلام يوم عرفة كان كمن زار الله في عرشه.

وفيه: عن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان معسراً فلم يتهياً له حجة الإسلام فليأت قبر الحسين عليه السلام وليعرف عنده، فذلك يجزيه عن حجة الإسلام، أما إنني لا أقل يجزي ذلك عن حجة الإسلام إلا للمعسر، فأما الموسر إذا كان قد حج حجة الإسلام فأراد أن يتنفل بالحج أو العمرة ومنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأتى قبر الحسين عليه السلام في يوم عرفة أجزأه ذلك عن أداء الحج أو العمرة وضاعف الله له ذلك أضعافاً مضاعفة، قلت: كم تعدل حجة وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يحصى ذلك، قلت: مئة؟ قال: ومن يحصي ذلك!! قلت: ألف!! قال: وأكثر، ثم قال: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٧٣).

عاشوراء فكأنما زار الله فوق عرشه^(١).

❖ عن عبد الرحمن بن الحجاج أو غيره اسمه الحسين قال أبو عبد الله عليه السلام :
من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث ليال غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر، قلت: أي الليالي جعلت فداك؟ قال: ليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٧٤). وفيه: عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
إذا كان النصف من شعبان نادى مناد من الأفق الأعلى زائري الحسين عليه السلام: ارجعوا مغفوراً
لكم، ثوابكم على الله ربكم ومحمد نبيكم.

وفيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب أن يصافحه مئة ألف نبي وأربعة
وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان، فإن
أرواح النبيين عليه السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل،
قلنا: من هم؟ قال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ.

وفيه: عن سالم بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من بات ليلة النصف من شعبان
بأرض كربلاء فقرأ ألف مرة قل هو الله أحد، ويستغفر الله ألف مرة، ويحمد الله ألف مرة، ثم
يقوم فيصلّي أربع ركعات يقرأ في كل ركعة ألف مرة آية الكرسي وكلّ الله تعالى به ملكين
يحفظانه من كل سوء ومن شر كل شيطان وسلطان ويكتبان له حسناته ولا تكتب عليه سيئة،
ويستغفران له ما دام معه ما شاء الله.

وفيه: عن زيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار قبر الحسين عليه السلام في النصف من
شعبان غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وفيه: عن يونس بن يعقوب، قال أبو عبد الله عليه السلام: يا يونس ليلة النصف من شعبان يغفر
الله لكل من زار الحسين عليه السلام من المؤمنين ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل لهم استقبلوا
العمل، قلت: هذا كله لمن زار الحسين عليه السلام في النصف من شعبان؟ فقال: يا يونس لو
أخبرت الناس بما فيها لمن زار الحسين عليه السلام لقامت ذكور الرجال على الخشب.

النصف من شعبان^(١).

❖ عن يونس بن ظبيان، قال أبو عبد الله عليه السلام: من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة عرفة في سنة واحدة كتب الله له ألف حجة مبرورة وألف عمرة متقبلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة^(٢).

❖ عن بشير الدهان عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة وألف غزوة مع نبي مرسل، من زاره أول يوم من رجب غفر الله له البتة^(٣).

❖ عن بشير الدهان، قال أبو عبد الله عليه السلام: أيما مؤمن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير عيد ولا عرفة كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل^(٤).

❖ عن داود بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة غفر الله له البتة، ولم يخرج من الدنيا وفي نفسه حسرة منها، وكان مسكنه في الجنة مع الحسين بن علي عليه السلام، ثم قال: يا داود من لا يسره أن يكون في الجنة جار الحسين عليه السلام؟ قلت: من لا أفلح^(٥).

❖ عن داود بن فرقد، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٨٠).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٨١).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (١٨١).

(٤) راجع كامل الزيارات ص (١٨٢).

(٥) راجع كامل الزيارات ص (١٨٣).

في كل شهر من الثواب ؟ قال : له من الثواب ثواب مئة ألف شهيد مثل شهداء بدر^(١).

❖ عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم نادى مناد تلك الليلة من بطنان العرش إن الله قد غفر لمن زار قبر الحسين عليه السلام في هذه الليلة^(٢).

شعائر الزيارة

ترتبط بشعيرة الزيارة مجموعة مهمة من الشعائر المحببة إلى نفوس أهل البيت عليه السلام ، وتدلنا النصوص على أنهم عليه السلام ندبوا إلى تحريك أجواء كربلاء المقدسة بالوفود على الإمام الحسين عليه السلام وعدوا ذلك في حد ذاته شعيرة مستحبة ، وحثوا على مظاهر خاصة في مدينة الحزن المقدسة ، كالزيارة بالمأثور ومراعاة الآداب والإغتسال بالفرات والمشى بسكون ووقار والتسبيح وذكر الله تعالى والدعاء والصلوات ، ورغبوا في إحياء جميع شعائر الحزن المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام . وقد أقر أهل البيت عليه السلام كثيراً من الطقوس التي درج عليها الشيعة في كربلاء المقدسة منذ قديم الزمان ، كالرثاء والمدح وذكر المصيبة والقراءة والندبة وتوزيع الأطعمة والأشربة وأمثال هذه المظاهر التي لا تزال قائمة فيها بشكل واضح .

❖ روى ابن قولويه بسنده إلى عبد الله بن حماد البصري عن أبي عبد الله عليه السلام : بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة ، وناساً من غيرهم ،

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٨٣).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٨٤).

ونساءً يندبنه ، وذلك في النصف من شعبان ، فمن بين قاريء يقرأ و قاص يقص ، ونادب يندب ، وقائل يقول المراثي .. فقلت : نعم جعلت فداك ، قد شهدت بعض ما تصف . فقال : الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا ، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم ، يهددونهم ويقبّحون ما يصنعون^(١) .

فهذه مجموعة من الطقوس المتعددة والعادات الجارية التي اعتاد عليها الشيعة وتوارثوها جيلاً بعد جيل هي محلّ رضا الأئمة عليهم السلام وتقديرهم .

شعيرة المشي للزيارة

ومن الشعائر التي درج عليها الشيعة وتوارثوها المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في المواقيت المستحبة وغيرها ، وعادة ما تنطلق مواكب المشي من مختلف مناطق العراق سيراً على الأقدام ، وهم يحملون الرايات السوداء ، وتستقبلهم المضاييف والهيئات في طريقهم لتقديم الطعام والشراب والعون .

وقد عاينتُ هذه المظاهر العجيبة في أيام عرفة سنة ١٤٢٥ هـ في طريقي من النّجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة ، فرأيت العجب ، أمّا هذه السنّة فقد تشرّفت في الأربعين لضم صوتي مع اصوات الزائرین فرأيت من ذلك ما يفوق العجب ، إذ كانت الجموع البشرية تزحف مُشرعةً زلزالاً حسينياً يهدر إلى أرض الطّف ، وكانت الألوف تقصد كربلاء مشياً على الأقدام إلى الطّف ، وهذه الظاهرة

(١) كامل الزيارات ص (٣٢٥) ، وقد مرّ الخبر بمصادره .

معروفة في العراق ويسمونها "بياده" بالباء الفارسية المكسورة، وهي لفظة فارسية تعني المشي.

وارتسمت في ذاكرتي أثناء ملاحظتي لهذه الظاهرة صوراً لا أظن أنني أنساها أبداً، فقد رأيت في سنة ١٤٢٥هـ في الماشين امرأة عجوزاً محدودة الظهر تمشي على هيئة الراكع ويدها عصا، وهي تحت السير إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام، فطلب من برفقتي من سائق التوكسي أن يوصلها معنا فردّ عليه: لن تقبل ذلك، لأنها تؤدّي ذلك التزاماً منها حتى تدخل كربلاء!! ورأيت كهلاً يمشي السير بقدم واحدة، وعكازتيه تحت إبطيه!! فقلتُ في نفسي: أيّ سحر أتر على كل هؤلاء ليسعون لهذه القبة الشريفة؟

ورأيت امرأة قد وقفت في شارع القبلة في يوم عرفة، مقابل الحرم الحسيني الشريف، وهي تقول للإمام الحسين عليه السلام مشيرة قولاً يعجز عن تصوير تأثيره أكبر الخطباء، إذ اشارت إليه بسببها قائلة: جئتك مشياً يا أبا عبد الله، وبحثتُ عنك حتى وجدتك، ورجائي أن تبحث عني يوم القيامة فتجدني!! وتجدر الإشارة أنّ أول من أسس المشي في النصوص الشرعية الواردة لقبر الإمام الحسين عليه السلام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عند زيارته في يوم الأربعين، فهو القدوة في هذا المجال..

رُوي في بشارة المصطفى عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله زائر قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطيء الفرات فاغتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بأخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله.

حتى إذا دنا من القبر قال : ألمسنيه ، فألمسته.. فخرّ على القبر مغشياً عليه ،
فرششت عليه شيئاً من الماء ، فأفاق ثم قال : يا حسين ثلاثاً ، ثم قال : حبيب لا
يجيب حبيبه ، ثم قال : وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك ،
وفرق بين بدنك ورأسك ، فأشهد أنك ابن النبيين ، وابن سيد المؤمنين ، وابن
حليف التقوى ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيد النقباء ،
وابن فاطمة سيدة النساء ، وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد
المرسلين ، ورييت في حجر المتقين ، ورضعت من ثدي الإيمان ، و فطمت
بالإسلام ، فطبت حيا وطبت ميتا ، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا
شاكة في الخيرة لك ، فعليك سلام الله ورضوانه ، وأشهد أنك مضيت على ما
مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال : السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت
بفناء الحسين وأناخت برحله ، أشهد أنكم أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم
بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.
ثم قال : " والذي بعث محمداً بالحق ، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه " .

قال عطية : فقلت لجابر : وكيف ؟ ولم نهبط واديا ، ولم نعل جبلا ، ولم
نضرب بسيف ، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأوتت أولادهم ،
وأرملت الأزواج !!

فقال لي : يا عطية " سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول : من أحب قوما
حشر معهم ، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم ، والذي بعث محمداً بالحق

نبيا، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه".

ثم قال: خذوا بي نحو أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق فقال لي: يا عطية "هل أوصيك!! وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملائكتك، أحب محب آل محمد ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواما قواما، وارفق بمحب آل محمد، فإنه إن نزل لهم قدم بكثرة ذنوبهم ثبتت لهم أخرى بمحبتهم، فإن محبتهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار"^(١).

ولا يخامرني شك في أن جابراً قد زار الإمام الحسين عليه السلام بعلم أدي إليه من رسول الله ﷺ في اليوم المخصوص، ففتح هذا الصحابي باباً أصبح اليوم من جملة الشعائر والمظاهر الملفتة التابعة للزيارة، وفي أخبار كتاب "كامل الزيارات" ذكر كثير للنصوص الدالة على ثواب المشي لزيارته عليه السلام.

ومنها: ❖ ما رواه عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة أن الإمام الصادق عليه السلام قال: يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المصلحين المنتجبين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الإنصراف أتاه ملك فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول لك استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى.

❖ ورواه عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة،

(١) راجع بحار الأنوار (٩٥/٩٨) عن بشارة المصطفى.

ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك، وامش حافياً، وامش مشي العبد الذليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبر أربعاً، ثم امش قليلاً، ثم كبر أربعاً، ثم اتت رأسه فقف عليه فكبر أربعاً، وصل أربعاً وأسأل الله حاجتك.

❖ ورواهُ بسنده إلى علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا علي زر الحسين ولا تدعه، قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ورفع له درجة، فإذا أتاه وكلّ الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شر، ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعوه وقالوا: يا وليّ الله مغفوراً لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً.

❖ ورواهُ بسنده إلى أبي سعيد القاضي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أتاه بسفينة فكفّت بهم سفينتهم نادى مناد من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة.

والذي حتمله قوياً أنه حتى المواكب الحسينية العزائية في شهر المحرم ومواسم الحزن فإنها تابعة في تأسيسها لشعيرة المشي إلى زيارته عليه السلام، وبلغت المواكب الحسينية اليوم درجة الشعيرة المستقلة وتجدّرت وتصدّرت في مظاهر العزاء، خصوصاً في العراق وإيران والبحرين^(١).

(١) راجع هذه الأخبار وغيرها في كامل الزيارات ص (١٣٢) وفي الباب روايات كثيرة، وهي

التربة المقدسة

تشير الزيارة عندنا جملة من الإشراقات الخاصة وتفجّر أمام أبصارنا حزمة من النور الوضاء ونقاط الضوء الحسينية، لنقف وقفة خشوع وتأمل، وربما ندرك بعد ذلك بعض قدسية هذه التربة الزاكية التي رغب الأئمة عليهم السلام في الوقوف عليها، فهي التي حملها جبرئيل عليه السلام إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقبلها!! أو قلبها!! ليؤكد مكانة هذه التربة الجليلة التي احتضنت خامس أصحاب الكساء عليهم السلام وبضعة خير المرسلين وتروّت من دمائه الزاكية..

إنّه امرٌ يدعو للتأمل!! .. أن يحمل جبرئيل الأمين تربة سبطه عليه السلام إليه صلى الله عليه وآله ليشمّها ويقبلها، ويقول له "هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟" فيتقبل النبي صلى الله عليه وآله عرضه بشوق وتلهّف، وتتأكد بذلك قدسية التربة المشرفة..

ونصّت المصادر من غير ترديد على قدسيّتها، وإن عزّ ذلك على البعض، إذ كيف تكون التربة المقدّسة خصوصيّة في ثرى أهل البيت عليهم السلام!!

وتلاحظ هذه المفارقة العجيبة في صفحات كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي الذي نقل نصّاً فيه خبر التربة التي نزل بها جبرئيل عليه السلام، إلا أن النصّ تضمّن لفظ: "ثمّ استيقظ صلى الله عليه وآله وفي يده تربة حمراء، وهو يقبلها!!" .. لكنّ ذلك عزّ على المحقّق الذي اعتنى بالطبعة حرّف ذلك وبدّل: "يقبلها" إلى: "يقبلها" وكتب في حاشية الكتاب: "تحرّفت بالمطبوع إلى يقبلها" ولم يذكر اللفظ الوارد في أصل

المخطوطة!!^(١).

فالمحقق الذي حرّف الكَلِمَ عن مواضعه يدرك الأبعاد الملازمة لتقيل النبي ﷺ للتربة الحسينية الشريفة حتماً، لهذا عدل عن لفظة التقيل ليتحاشى أبعادها، ولو أنّ تقليلها فيه محذورٌ أيضاً، وعلى كلا الوجهين تأسيس لشرف التربة وتأكيد لقدسيّتها..

ويكفي في بيان خصوصيّتها تلك الالئ المثورة الواردة في كلام أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد فضلها، منها..

❖ ما في وسائل الشيعة، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبّحاً وإن لم يسبّح بها^(٢).

❖ وفي مصباح المتهدّد، عن معاوية بن عمّار، قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجّادته وسجد عليه، ثم قال عليه السلام: إنّ السجود على تربة أبي عبد الله

(١) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٩/٣) الطبعة السادسة، بتحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، وبإشراف شعيب الأرنؤوط، في ضمن ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، كما ويمكنك مراجعة الطبعة القديمة (١٩/٣) في نفس الباب، لترى كيف تبدّل الحقائق الواضحة ويُعبث بكلمات النبي الكريم ﷺ تحت لثام التحقيق، ولو تتبّعنا أمثال هذه التّغييرات لأمكننا جمعها في مصتّف مستقل، وقد أشرنا في تعليقة لنا إلى بعض موارد عبث هؤلاء بالسنة المطهّرة، أعاذنا الله تعالى وعصمنا من الزلل، وألهمنا الرّشد.

(٢) راجع وسائل الشيعة (٣٦٦/٥)، ومستدرك الوسائل (٥٥٤).

عليه السلام يخرق الحجب السابع^(١).

❖ ورُوِيَ في إرشاد الديلمي أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذللًا لله واستكانة إليه^(٢).

إنّ هذه النصوص الصارخة بقدس التربة الزاكية وإن كانت غريبة على بعض المدارس الإسلاميّة من المذاهب الأخرى إلا أنّها واقعة في سياق الحديث الذي رواه أهل الحديث فيها، وفي كتابنا "الدمعة الساكنة" مصادر الحديث مع بحث حوله، غير إنّ أمة الإسلام اليوم وقبل اليوم بعيدة عن دراسة حديث النبي ﷺ والتأمل في مضامينه، والناس أعداء ما جهلوا..

ويبدو: إنّ جبريل عليه السلام مدّ يده بقدرة الله تعالى إلى الطّف، فقبض منها قبضة فأعطاه النبي ﷺ، وعرضها عليه لكونه صاحب في هذه المصيبة العظمى كما أنّه هو المعزى بهذه المصيبة، ولطالما نزل الوحي مسلّيًا له في على هذا المصاب، وكأنّ عرض التربة المشرفة عليه ﷺ بطيها الفواح نوعٌ من أنواع التسلية بمقتل ولده الإمام الحسين عليه السلام.

(١) راجع مصباح التهجد ص (٧٣٣)، ووسائل الشيعة (٣٦٦/٥)، وبحار الأنوار (١٥٣/٨٢).

(٢) راجع إرشاد القلوب (١١٥/١)، ووسائل الشيعة (٣٦٦/٥)، بحار الأنوار (١٥٨/٨٢).

المصيبة الراتبة

اصدااء المقتل والشعائر الحسينية



بإشراف
الدكتور الشيخ محمد جعفر نوري